من معاني الهجرة هجرة الذنوب والمعاصي

الهجرة هي: مفارقة الإنسان غيرَه ببدنه، أو بلسانه، أو بقلبه.

فتبين من هذا أن الهجرة أنواع؛ هي:

هجر أمكِنة الكفر كما في هجرتي الحبشة والهجرة للمدينة

وهجْر أهل المعاصي وهذا نوع من تغيير المنكر معهم

وهجْر المعاصي عموما .

@فليس المقصود التحدُّث عن الهجرة بأسلوب قَصصي وسرد تاريخي، أو تُقام لمناسبتها طقوس واحتفالات، ثم تُنسى ولا يكون لها أثر في النفوس، أو تأثير في السلوك، فإن كثيرًا ممن يتحدثون عن الهجرة على رأس السنة، لا يَفقهون معناها، ولا يعلمون مقتضاها، بل يخالفونها في سلوكهم وأعمالهم..

@ فهم يتحدثون عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتركهم أوطان الكفر إلى وطن الإيمان، وهم مُقيمون في بلاد الكفر، أو يسافرون إليه لقضاء الإجازة أو للنزهة، أو لقضاء شهر العسل كما يسمونه بعد الزواج!

@ يتحدثون عن الهجرة وهم مكثرون لسواد أهل البدع وأهل الباطل

@يتحدثون عن الهجرة وهم لا يَهجُرون عبادة القبور والأضرحة، بل يعطونها ويحتفلون بها ويتبركون بها وينذرون لها .

@ يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المذاهب الباطلة والآراء المضلة، بل يجعلونها مكان الشريعة الإسلامية.

@يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المعاصي والأخلاق الرذيلة.

@ يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عادات الكفار وتقاليدهم، بل يتشبَّهون بهم، فأين هي معاني الهجرة وأنواعها من تصرُّفات هؤلاء؟

تعالوا بنا في هذه الدقائق نتكلم على نوع هام من معاني الهجرة وهو هجر الذنوب والمعاصي.

قال تعالى: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٥]

(والرجز) بضم الراء وهما لغتان مثل الذكر والذكر ، وقال أبو العالية والربيع والكسائي : الرجز بالضم : الصنم ، وبالكسر : النجاسة والمعصية ، وقال الكسائي أيضا : بالضم : الوثن ، وبالكسر : العذاب .

روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»

فالهجرة ضربان ظاهرة وباطنة فالباطنة ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان والظاهرة الفرار بالدين من الفتن وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه ويحتمل أن يكون ذلك قيل بعد انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطييبا لقلوب من لم يدرك ذلك بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه.

<u>برنامج عملي من أراد هجر الذنوب والمعاصي:</u>

<u>أهمية القلب :</u>

روى الشيخان عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بِشِيْر رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ: (أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ القَلْبُ)

أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً هذه أيضاً جملة مؤكدةبـ (ألا) و (إنَّ) والمعنى: ألا وإن في جسد الإنسان مضغة، أي قطعة لحم بقدر ما يمضغه الإنسان عند الأكل، وهي بمقدار الشيء الصغير.

إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ رتب النبي صلى الله عليه وسلم الجزاء على الشرط، فمتى صلح القلب صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله.

وعلاقة القلب بالأعضاء أشد من علاقة الملك بالرعية؛ لأن الملك ربما يأمر ولا يُطاع، والقلب إذا أمر الجوارح أطاعته ولابد، فإذا صلح القلب فلابد أن يصلح الجسد، وإذا فسد القلب فلابد أن يفسد الجسد.

@الحديث يدل على عظم القلب وأهميته لأن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات واتقائه الشبهات بحسب صلاح حركة قلبه فإن كان قلبه سليما ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح كلها وإن كان القلب فاسدا قد استولى عليه اتباع الهوى عبدا للشهوات وأسره حب الدنيا فسدت حركات الجوارح كلها ، ولهذا يقال القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده مطيعون لأوامره لا يخالفونه في شيء . ولا ينفع عند الله يوم القيامة إلا القلب السليم قال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وقال تعالى} :فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] {الحج:٤٦.[

فعمى البصر يؤجر عليه الإنسان طالما أنه صابر محتسب،)إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه- أي :بعينيه- فصبر، عوضته عنهما الجنة.(

فالله يقول} :فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ] {الحج:٤٦ [إذاً: العمى عمى القلب ليس عمى البصر، والقلب في الصدر، وقلب الإنسان يعمى عن معرفة الحق.

<u>@ أول خطوة لإصلاح القلب تخليته من حب الدنيا:</u>

روى أحمد وأبو داود عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»

التداعي الاجتماع ودعاء البعض بعضا والمراد من الأمم فرق الكفر والضلالة
يوشك الأمم) أي يقرب فرق الكفر وأمم الضلالة (أن تداعى عليكم) بحذف إحدى التائين أي تتداعى بأن يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال (كما تداعى الأكلة) بفتحتين وهو جمع آكل، والمعنى كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضا (إلى قصعتها) الضمير للأكلة أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفوا وصفوا كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم قاله القارئ قال في المجمع أي يقرب أن فرق الكفر وأمم الضلالة أن تداعى عليكم أي يدعو بعضهم بعضا إلى الاجتماع لقتالكم وكسر شوكتكم ليغلبوا على ما ملكتموها من الديار كما أن الفئة الآكلة يتداعى بعضهم بعضا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع فيأكلونها صفوا من غير تعب انتهى (ومن قلة) خبر مبتدأ محذوف وقوله (نحن يومئذ) مبتدأ وخبر صفة لها أي أن

ذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ (كثير) أي عددا وقليل مددا (ولكنكم غثاء كغثاء السيل) بالضم والمد وبالتشديد أيضا ما يحمله السيل من زبد ووسخ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم (ولينزعن) أي ليخرجن (المهابة) أي الخوف والرعب (وليقذفن) بفتح الياء أي وليرمين الله (الوهن) أي الضعف وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت قاله القارئ (وما الوهن) أي ما يوجبه وما سببه
قال الطيبي رحمه الله سؤال عن نوع الوهن أو كأنه أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن (قال حب الدنيا وكراهية الموت) وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين ونسأل الله العافية.

د عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»

العينة بالكسر وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الأول.

يراجعوا دينهم: قال المناوي: أي: حتى يرجعوا عن ارتكاب هذه الخصال لامذمومة، وفي جعلها إياها من غير الدين وأن مرتكبها تارك للدين مزيد زجر وتهويل وتقريع لفاعله.

وفي المسند والصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم))، وفي الترمذي وصحيح الحاكم عن كعب بن عياض رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال))** وإنما يكونُ المالُ فتنةً في حق أولئك الذين يستكثرون منه استكثاراً يُفضي إلى الانصراف عن القيام بواجبات الدين في العبادات والمعاملات والأخلاق، ويجنونَه بطُرُق غير مشروعةٍ لم يأذن بها الله كالربا.

قال بعض السلف: بئس الرفيقان: الذهب والفضة، لا ينفعانك حتى يفارقانك. أي: أن العبد لا ينتفع بالذهب والفضة إلا إذا أنفقهما، فبئس الرفيقان هما.

وقال بعضهم: إنما سمي الذهب ذهباً؛ لأنه يذهب، وسميت الفضة فضة؛ لأنها تنفض.

@ ثانيا : التركيز على موطن الداء:

أنت أعرف بنفسك وحالك فتش حتى تعرف موطن الخلل وأين يأتيك الشيطان وما هو مدخله لقلبك.

هل المال أو الجاه والسلطان أم النساء والشهوات ...

هنا تبدا في محاسبة نفسك إن عاودت هذه المعصية

اعلم أن العبد إذا حاسب نفسه فرأى منها تقصيرة ، أو فعلت شيئا من المعاصي ، فلا ينبغي أن يهملها ، فإنه يسهل عليه حينئذ مقارفة الذنوب ، بل ينبغي أن يعاقبها عقوبة مباحة . .

١- روى عن عمر رضي الله عنه : أنه خرج إلى حائط له ، ثم رجع وقد صلى الناس العصر فقال : إنما خرجت إلى حائطى ، ورجعت وقد صلى الناس العصر ، حائطى صدقة على المساكين ، قال الليث : إنما فاتته في جماعة .

٢ - حكى أن تميم الداري رضي الله عنه نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى أصبح ، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة ..

٣ - مر حسان بن أبي سنان بغرفة فقال : متى بنيت هذه ؟ ثم أقبل على نفسه ، فقال : تسألين عما لا يعنيك ، لأعاقبنك بصوم سنة فصامها . .

فمن سهل عليه الصيام ألزم نفسه بالصدقة فالبخل بالدينار والدرهم يجعله يقلع عن المعصية.

٤- (عن سلمة بن منصور عن مولى لهم كان يصحب **الأحنف بن قيس،** قال: كنت أصحبه، فكان عامّة صلاته الدّعاء، وكان يجيء المصباح، فيضع أصبعه فيه، ثمّ يقول: حسّ ، ثمّ يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا) *

(عن ميمون بن مهران قال: لا يكون الرّجل تقيّا حتّى يكون لنفسه أشدّ محاسبة من الشّريك لشريكه) *

قال أبو جعفر البقَّال: دخلت على أحمد بن يحيى رحمه الله، فرأيته يبكي بكاءً كثيرًا ما يكاد يتمالك نفسه!! فقلت له: أخبرني: ما حالك؟! فأراد أن يكتمني فلم أدعه، فقال لي: فاتني حزبي البارحة! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته، فعوقبت بمنع حزبي، ثم أخذ يبكي! فأشفقت عليه وأحببت أن أسهِّل عليه، فقلت له: ما أعجب أمرك! لم ترضَ عن الله تعالى في نومةٍ نومك إياها، حتى قعدت تبكي! فقال لي: دع عنك هذا يا أبا جعفر، فما أحسب ذلك إلا من أمر أحدثته، ثم غلب عليه البكاء! فلما رأيته لا يقبل مني انصرفت وتركته.

" وهذا الربيع بن خثيم –رحمه الله تعالى-: حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قسوة جاء فاضطجع في القبر فمكث ما شاء الله ثم يقول: { رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ } [المؤمنون:٩٩ ؛ ١٠٠] . ثم يرد على نفسه فيقول: قد أرجعتك فجدي؛ فمكث كذلك ما شاء الله."

وقد وقف الإمام "الحسن البصري" عند شفير قبرٍ بعد دفن صاحبه ثم التفت على رجل كان بجانبه فقال: أتراه لو يرجع للدنيا ماذا سيفعل؟! قال الرجل: يستغفر ويصلي ويتزود من الخير فقال الإمام: هو فاتته فلا تفتك أنت!!!

<u>@ ثالثا: بعد هذه التخلية نبدأ في العلاج وصقل القلب:</u>

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه (أسألك قلبا سليما) رواه أحمد ، والقلب السليم هو السالم من الشبهات والشهوات. وذكر النبي صلى الله عليه وسلم للقلب في ختام حديثة إشارة إلى أن اتقاء الشبهات سببه صلاح القلب والوقوع فيها منشأه ضعف القلب وفساده والله المستعان.

@ قال الحسن البصري لرجل " داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم ". وقال محمد البلخي " ما خطوت منذ أربعين سنة لغير الله عز وجل ". وقال الحسن " ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر على طاعة أو على معصية فإن كانت طاعة تقدمت وإن كانت معصية تأخرت."

يقول حذيفة رضي الله عنه: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي فذلك قلب المنافق، وقلب تمده مادتان، مادة إيمان، ومادة نفاق فهو للغالب عليه منهما.

ومعنى قلب أجرد، أي: متجرد مما سوى الله عز وجل، قد أخلص عبوديته ومحبته لله عز وجل.
وفيه سراج يزهر: أي: فيه مصباح يضيء، وهو المؤمن الذي وصفه الله عز وجل بقوله: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا[الأنعام:١٢٢].
فالمؤمن في قلبه مصباح يضيء يميز به بين الشبهات والدلائل الواضحات، وبين البدعة والسنة، والهدى والضلال، ففي قلبه فرقان يفرق به بين الحق والباطل.
وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وهو الذي قد دخل قلبه في غلاف فلا يخرج منه كفر ولا يدخله إيمان، كما قال الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ[البقرة:٦].
والقلب الثالث: قلب منكوس عرف ثم أنكر، عرف بعقله وقلبه، وأنكر المحبة والانقياد، فهو يعرف الحق، ولكنه يتنكره ولا يرضى به، فلا يستقر في قلبه، ولا يطمئن به، فيشبه قلبه بالإناء المنكوس الذي لا يستقر فيه شيء، فكلما وضع فيه شيء فإنه يسقط منه، وهكذا قلب المنافق، فهو منكوس يسقط منه كل خير، ولا يستقر فيه.
وقلب تمده مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق، فهو للغالب عليه منهما، وهو القلب المريض أو السقيم.
@ إن الاستغفار أيها الإخوة: يجلو القلب ويزيل عنه الران، يزيل سواده وغباره وقترته، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن المؤمن إذا أذنب، نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه -يرجع القلب إلى حاله الأولى- وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه وذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) [المطففين:١٤])
ولذلك فإن الذي يستغفر ربه، يجلو قلبه.

أخيرا التحلية وملء القلب بمادته الأساسية وهي الإيمان:

ذكر العلماء صلاح القلوب في أشياء ومنها:

أحدها :قراءة القرآن بتدبر.

ثانيها :خلاء البطن بتقليل الأكل.

ثالثها :قيام الليل بالعبادة.

رابعها :التضرع عند السَّحَر.

خامسها :مجالسة الصالحين.

سادسها :الصمت عما لا يعني.

سابعها :العزلة عن أهل الجهل.

ثامنها :ترك الخوض في الناس.

تاسعها :أكل الحلال.

طلب العلم .